أءله مع الله

اللهم لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا من قديم أو حديثٍ أو شاهدٍ أو غائبٍ أو حي أو ميت، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالقرآن، لك الحمد في كل حال، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم أما بعد:

لا يوجد أحد – في كون الله – يعطي أو يمنع، ويرفع أو يخفض، وينفع أو يضر، ويعز أو يذل، يحيي أو يميت وهو على شيء قدير؛ غيْر الله!

والناس – مهما كانوا سلاطين أم أنبياء – لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا، ولا حياة ولا موتا ولا نشورا.

والله – عزّ وجلّ – قد حسم هذه القضية في القرآن الكريم على لسان نبيّه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وفي الحديث: عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النبي صلى الله عليه وسلم يَومَاً فَقَالَ: (يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحفَظك، احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ، إِذَاَ سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَاَ اسْتَعَنتَ فَاسْتَعِن بِاللهِ، وَاعْلَم أَنَّ الأُمّة لو اجْتَمَعَت عَلَى أن يَنفَعُوكَ بِشيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لَك، وإِن اِجْتَمعوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشيءٍ لَمْ يَضروك إلا بشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفعَت الأَقْلامُ، وَجَفّتِ الصُّحُفُ). أخرجه الترمذي.

ولذا؛ نعى القرآن على الكفار عبادتهم ما لا يملك شيئا ولا يقدر على النفع أو الضر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

فمَنْ غيْرُ الله يكشف الضر، ويبسط الخير؟!

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

ومَن غيْرُ الله يجيب المضّطر إذا دعاه ويكشف السوء؟!

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

والإنسان حتى ولو كان ملحدًا، فهو لا يدرك أنّ هناك مَنْ يستطيع أن يغيثه وينقذه إذا شاء إلا إذا أحيط به وأطبق عليه؛ وهنالك يتعرّى من أرديته المزيّفة، وأقنعته الكاذبة، ويتوجه بكليّته إلى منْ لا مغيث سواه!

والقرآن يسجّل هذه الحقيقة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

يحكي أحد العلماء عن أحد المسافرين، وكان مسلمًا على طائرة يركبها خبراء من بلاد لا تؤمن بالله، ولا تعترف بوجوده: أنّ الطائرة التي كان يركبها دخلت في سحابة مكهربة، وبدا لركابها أنها على وشك السقوط، فإذ به يرى هؤلاء الملحدين يرفعون أيديهم إلى السماء، ويدعون ربهم بنداء الفطرة بعدما سقطت الأقنعة عنها: يارب يارب! وإذا ما انطلقت السفينة بعيدا في البحر اللجيّ، وهبّت الزوابع، وتسابقت الرياح، وتلبّد بالسحب الفضاء، واكفهرّ وجه السماء، وأبرق البرق، وأرعد الرعد، وكانت ظلمات بعضها فوق بعض، ولعبت بالسفينة الأمواج، وأجهد البحّار جهده، وأفرغ الربّان حيلته، وأشرفت السفينة على الغرق، وتربّص الموت من كل صوب وحدب.

فمَنْ غيْرُ الله تحيط رأفته بهذه الأخطار والمهالك؟ ومَنْ غيْرُ الله يصل بحبال نجدته المكروبين البائسين؟!

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا﴾.

وإذا اشتد السقم بمَنْ أحاطت به عناية الأطباء، وسهر الأوفياء، ونام بين آمال المخلصين ودعوات المحبين، ثم ضعفت حيلة الطبيب، ولم ينفع وفاء الحبيب، واستحال الرجاء إلى بلاء؛ فمَنْ غيْرُ الله تتجه إليه القلوب الواجفة ترجو منه الشفاء؟

ومَنْ غيْرُ الله يلجأ إليه الطبيب والقريب والحبيب؟!

ذهبت أناجي طبيب الورى ... وروحي تناجي طبيب السماء

طبيبين؛ ذاك ليعطي الدواء ... وذاك ليجعل فيه الشفاء

عباد الله: لا أحد أعظم إحساناً من الله سبحانه، فإن إحسانه على عبده في كل نفَسٍ ولحظة، وهو يتقلب في إحسانه في جميع أحواله، ويكفي أن من بعض أنواعه نعمة النَفَس التي لا تكاد تخطر ببال العبد، وله عليه في كل يوم وليلة أكثر من أربعة وعشرين ألف نعمة، فإنه يتنفس في اليوم والليلة أربعة وعشرين ألف نفس، وكل نفس نعمة منه سبحانه.

فإذا كان أدنى نعمة عليه في كل يوم أربعة وعشرين ألف نعمة فما الظن بما فوق ذلك وأعظم منه.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾ هذا إلى ما يصرف عنه من المضرات وأنواع الأذى التي تقصده، ولعلها توازن النعم في الكثرة، والعبد لا شعور بأكثرها أصلاً، والله سبحانه يكلؤه منها بالليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾. هو سبحانه منعم عليهم بكلاءَتهم وحفظهم وحراستهم مما يؤذيهم بالليل والنهار وحده لا حافظ لهم غيره.

وفى بعض الآثار يقول تعالى: "أنا الجواد، ومن أعظم منى جوداً وكرماً؟ أبيت أكلأُ عبادي في مضاجعهم وهم يبارزونني بالعظائم". أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء.

ورأى النبي صلى الله عليه وسلم السحاب قال: "هذه روايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يذكرونه، ولا يعبدونه". أخرجه الترمذي.

وفى الصحيحين: عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليجعلون له الولد، وهو يرزقهم ويعافيهم".
وفى بعض الآثار: "يقول الله: ابن آدم، خيري إليك نازل، وشرك إلي صاعد، كم أتحبب إليك بالنعم، وأنا غني عنك، وكم تتبغض إلي

بالمعاصي، وأنت فقير إلي، وإلا يزال الملك الكريم يعرج إلي منك بعمل قبيح". ذكره ابن القيم في زاد المعاد.

** ** **

الخطبة الثانية

الحمدُ لله الأحد الواحد ذي الفضل وجميل العوائِد، أحمدُه سبحانه وأشكرُه على إنعامه المتزايِد، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً أرجُو بها النجاةَ يوم الشدائِد، وأشهد أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُ الله ورسولُه أفضلُ محمود وأفضلُ حامِد، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه، وعلى آلِهِ وأصحابِه.

ثم أما بعد:

هؤلاء البشر خلق الله لهم ما في السموات والأرض وما في الدنيا والآخرة، ثم أهلهم وأكرمهم، وأرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه وشرع لهم شرائعه، وأذن لهم في مناجاته كل وقت أرادوا وكتب لهم بكل حسنة يعملونها عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وكتب لهم بالسيئة واحدة، فإن تابوا منها محاها وأَثبت مكانها حسنة، وإذا بلغت ذنوب أحدهم عَنان السماءِ ثم استغفره غفر له، لو لقيه بقراب الأرض خطايا ثم لقيه بالتوحيد لا يشرك به شيئاً لأَتاه بقرابها

مغفرة، وشرع لهم التوبة الهادمة للذنوب فوفقهم لفعلها ثم قبلها منهم، وكذلك ما شرعه لهم من الطاعات والقربات وهو الذى أمرهم بها وخلقها لهم وأعطاهم إياها ورتب عليها جزاءَها، فمنه السبب ومنه الجزاءُ، ومنه التوفيق ومنه العطاءُ أولاً وآخراً، أعطى عبده ماله وقال: تقرّب بهذا إليَّ أقبله منك، فالعبد له والمال له والثواب منه، فهو المعطي أولاً وآخراً فكيف لا يحب من هذا شأْنه؟

وكيف لا يستحي العبد أن يصرف شيئاً من محبته إلى غيره؟

ومن أولى بالحمد والثناءِ والمحبة منه؟

ومن أولى بالكرم والجود والإحسان منه؟

فسبحانه وبحمده لا إله إلا هو العزيز الحكيم، ويفرح سبحانه وتعالى بتوبة أحدهم إذا تاب إليه أعظم فرح وأكمله، ويكفر عنه ذنوبه، ويوجب له محبته بالتوبة، وهو الذي ألهمه إياها ووفقه لها وأعانه عليها، وملأ سبحانه وتعالى سماواته من ملائكته، واستعملهم في الاستغفار لأهل الأرض واستعمل حملة العرش منهم في الدعاءِ لعباده المؤمنين، والاستغفار لذنوبهم ووقايتهم عذاب الجحيم، والشفاعة إليه بإذنه أن يدخلهم جناته.

الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة من أنواع النباتات، وبث به في الأرض جميع الحيوانات.

قال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰه مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه ويكشف السوء ويفرج الكربات، ويقيل العثرات، الذي يهدي خلقه في ظلمات البر والبحر، ويرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته، فيحيي الأرض بوابل القطر، الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، ويرزق من في السماوات والأرض من خلقه وعبيده، الذي يملك السمع والأبصار والأفئدة، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويدبر الأمر.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيك فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرا﴾.

المستعان به على كل نائبة وفادحة، والمعهود منه كل بر وكرامة، الذي عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات، وسبحت بحمده الأرض والسماوات وجميع الموجودات، الذي لا تسكن الأرواح إلا بحبه، ولا تطمئن القلوب إلا بذكره، ولا تزكو العقول إلا بمعرفته، ولا يدرك النجاح إلا بتوفيقه، ولا تحيا القلوب إلا بنسيم لطفه وقربه، ولا يقع أمر إلا بإذنه، ولا يهتدي ضال إلا بهدايته، ولا يستقيم ذو أَوَدٍ إلا بتقويمه، ولا يفهم أحد إلا بتفهيمه، ولا يتخلص من مكروه إلا برحمته، ولا يحفظ شيء إلا بكلاءته، ولا يفتتح أمر إلا باسمه، ولا يتم إلا بحمده، ولا يدرك مأمول إلا بتيسيره، ولا تنال سعادة إلا بطاعته، ولا حياة إلا بذكره ومحبته ومعرفته، ولا طابت الجنة إلا بسماع خطابه ورؤيته، الذي وسع كل شيء رحمة وعلما، وأوسع كل مخلوق فضلا وبرا.

فهو الإله الحق، والرب الحق، والملك الحق، والمنفرد بالكمال المطلق من كل الوجوه، المبرأ عن النقائص والعيوب من كل الوجوه، لا يبلغ المثنون وإن استوعبوا جميع الأوقات بكل أنواع الثناء ثناء عليه، بل ثناؤه أعظم من ذلك، فهو كما أثنى على نفسه.

ثم صلوا وسلموا على صاحب الحوض والشفاعة، نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، كما أمركم ربكم بذلك، قال تعالى: ﴿إن الله

وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.

اللهم صل وسلم وبارك وأنعم على سيد الأولين والآخرين، ورحمة الله للعالمين نبينا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم وفق ولي أمرنا بتوفيقك، وأيده بتأييدك، واجعل عمله في رضاك، اللهم ارزقه البطانة الصالحة الناصحة، وجنبه بطانة السوء الطالحة.

اللهم إنا نسألك الجنة، ونعوذ بك من النار، يا عزيز يا غفار.

اللهم عليك بأعداء الملة والدين، من اليهود والنصارى المعتدين المحتلين.

اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم رحماك بإخواننا المسلمين في فلسطين.

اللهم كن لهم مؤيدا ونصيرا، ومعينا وظهيرا.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.